

الفصل الثانى

المؤرخون^(١) الهواة وانتعاش الحركة التاريخية فى مصر خلال القرن العشرين

• المجموعة الأوربية • مجموعة القصر •

مجموعة الحركة الوطنية • مجموعة الكتاب

الشوام • مجموعة الكتاب العسكريين .

يمكننا تقسيم الاتجاهات التى ساعدت على انعاش الحركة التاريخية فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى امتداد القرن العشرين إلى اتجاهين .

الأول : اتجاه الهواة من المؤرخين ، والثانى الاتجاه الأكاديمى لكتابة التاريخ .

وبالنسبة للمدرسة الأولى فيمكننا تقسيمها إلى عدة مجموعات

١ - المجموعة الأوربية وتنقسم إلى قسمين :

(١) - مجموعة المؤلفين السياسيين والإداريين الإنجليز الذين شاركوا فى حكم مصر وإدارتها بعد الاحتلال .

١ - أطلقنا هذه التسمية تجاوزاً ، لأن كل من يحاول الكتابة فى التاريخ لا يعد مؤرخاً بل لا بد أن تتوافر فيه من يكتب فيه الصفات والاستعدادات والظروف التى تجعله قادراً على ذلك العمل .

(ب) - المجموعة ذات الاتجاهات المناصرة للحركة الوطنية .

٢ - مجموعة القصر ويمكن تقسيمها الى قسمين :

(أ) - مجموعة الأمراء وكبار الموظفين بالقصر .

(ب) - المجموعة الأجنبية التي دعاها الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرته .

٣ - مجموعة الحركة الوطنية ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

(أ) - المجموعة التي تناولت تاريخ مصر بشكل مباشر .

(ب) - مجموعة الأدباء والشعراء الذين تطرقوا لتاريخ مصر .

(ج) - المجموعة الصحفية

٤ - مجموعة الكتاب الشوام التي ولدت إلى مصر وشاركت في إثراء

التاريخ أمثال سليم النقاش ، وجرجي زيدان ، وعبد الرحمن الكواكبي :

٥ - مجموعة الكتاب العسكريين الذين تناولوا تاريخ مصر الحديث ومن هؤلاء

أحمد حمروش ، وجمال حماد .

وبالنسبة لإتجاهات المدرسة الأكاديمية التي تحملت على عاتقها حركة تمصير التاريخ

المصري بداية بشفيق غريال وصبري السريوني وحسن عثمان وفؤاد شكرى وعزت عبد الكريم

ومحمد أنيس وعبد العزيز الشناوى وتلاميذهم فإنه يمكن تقسيمها إلى ما يلي اتجاه

مدرسة الفرد (البطل في التاريخ) واتجاه مدرسة رائدة الألمانية، واتجاه مدرسة التاريخ

الاجتماعى والاقتصادى، واتجاه المدرسة التفسيرية والاتجاه الإسلامى وتيار دراسة

التاريخ الأوربي وستقتصر هذا الفصل على المؤرخين الهواة Amateur historian

١ - المجموعة الأوربية .

١ - وتشمل مجموعة الإداريين والسياسيين والموظفين الانجليز

الذين شاركوا في تطورات الأحداث بمصر وكانت لهم اليد الطولى في إدارة

شئونها ومراقبة أحوالها وعن أبرز هؤلاء اللورد " كرومر " في كتابه
 England in Milner " و " ملنر " في كتابه Abbas II , Modern Egypt
 Egypt والورد " لويدي " في كتابه Egypt Since Cromer .

وقد اعتنق أفراد هذه المجموعة فكرة أن الفوضى كانت سائدة في مصر قبيل
 وصول الأوربيين إليها وأن الإنجليز قاموا ببذر بذور الحضارة الحديثة فيها ، وأن مقدرة
 الوزراء المصريين ومساعدتهم على الحكم لم تتحسن إلا في ظل الإدارة الأوربية ، وأن
 الحزب الوطني في مصر لا يعبر عن آراء المصريين ومصالحهم الحقيقية ، وأن الروابط
 التي كانت تربط مصر بالدولة العثمانية ساعدت على انتشار الفساد والرشوة والحكم
 الاستبدادي ، وأن الإنجليز يرغبون في إزالة ذلك الحجاب الكثيف من التعصب الديني
 لدى المصريين الذين يتسكنون برابطة الجامعة الإسلامية فقد هاجم " كرومر " الفكرة
 الإسلامية في كتابه وصور المسلمين في صورة الهمج المتخلفين ^(١) وهاجم الإسلام
 واتهمه بأنه دين رجعي لا يصلح لقيام نظام اجتماعي حديث وزعم أن الإنجليز ما جاؤا
 إلى مصر إلا لرفع الظلم وإحياء العدل ، وإلهم يرجع الفضل في انتقال مصر من
 الانحلال والخراب وإقامة اقتصادها على أساس متين ، وإلهم وحدهم يرجع الفضل في
 رفع الاستعباد عن الفلاح المصري المسلوب إرادته والمستبعد من جانب الأتراك
 الشركسة ، وإلهم أيضا يرجع الفضل في عدم التفرقة بين الناس على أساس
 الجنسية أو الدين ^(٢) وأنه يجب على الخديو أن يدين بالولاء لإنجلترا التي حافظت على
 مركزه في مصر ^(٣) يضاف إلى ذلك أن بعض أفراد هذه المجموعة شجعوا على فكرة
 القومية المصرية المنفصلة عن الدولة العثمانية والفكرة الإسلامية ، وتكوين رأى عام
 يناهز هذا الاتجاه ^(٤) ويمنع أى تدخل فعلي من جانب الدولة العثمانية في شئون

١ - انظر Abbas II P . 45 - 48 و Modern Egypt vol 2 , P 129 - 154

٢ - Cromer : Modern Egypt VII P. 217 - ٢

٣ - Ibid P . 331 - 332 - ٢

٤ - Liyod : Egypt since cromer vol 1 P. 40 - ٤

مصر^(١) كما دعا إلى اصلاح أحوال مصر عن طريق الاهتمام بالانتاج الزراعى حتى تتمكن من تنمية مواردها والوفاء بالتزاماتها الدولية وبذلك يتولد مركز إنجلترا فى مصر وتستطيع منع تدخل الدول الأخرى فيها^(٢) وإلى جانب ذلك دعا " ملنر " إلى تجلزة المسئولين المصريين من الناحية المعنوية حتى يؤثروا مهامهم بنفس الروح التى يؤديها بها الانجليز^(٣) وإلى اصلاح النظام الادارى من أصله إلى فروعه وتعليم جهاز من رجال الإدارة للقيام بامياء الحكم^(٤) كما دعا كرومر إلى إلغاء التعليم المجانى وأن من يريد أن يتعلم عليه أن يثبث ذلك بدفع نفقات تعليمه^(٥) .

ب - أما عن المجموعة الثانية ذات الاتجاهات المناصرة للحركة الوطنية فقد عرفت مصر مؤرخين أجانب أبدوا تعاطفهم مع الحركة الوطنية المصرية نذكر منهم John Ninet "جون نينيه" السويسرى صاحب كتاب Arabi Pacha والذى كان صديقا مقربا لعرابى وملازما له منذ قيام ثورته ، والذى دافع عن الفلاح المصرى دافعا واضحا واشاد بدوره فى إمداد عرابى بكل ما يملك من النفس والنفس^(٦) .

وعلى الرغم من أن المسير نينيه دافع عن عرابى وقضى معه الشهر الأول من الحرب فى كفر النوار إلا أنه اعترف بالأخطاء التى وقع فيها العرابيون فقد ذكر ان بساطة عرابى جعلته يرتكب أخطاء كبيرة ظهرت آثارها فيما بعد فبقدر ما بذل من

١ - Cromer : op , cit, v, II P. 324 .

٢ - Milner : England in Egypt P. 107 .

٣ - Ibid P. 290 .

٤ - Ibid : p. 23 .

٥ - Cromer : oP. cit. V II P 532 .

٦ - لتفاصيل انظر .

John Ninet: Arabi Pacha: Egypt 1880-1883 Paris 1884 P.216

والجدير بالذكر أن نينيه شغل منصب سيد الجالية السويسرية فى مصر ابان الثورة العرابية .
ومن تفاصيل ذلك انظر عرضنا لكتابه فى مجلة السياسة الدولية يناير ١٩٨٢ ص ١٦٦ تحت عنوان
مكتبة الثورة العرابية - كتابات الاجانب المعاصرين لثورة عرابى باشا .

جهود في الدفاع عن الاسكندرية وتحصين خطوط الدفاع في كفر النوار بحيث تعذر على الانجليز دخولها فقد أظهر غفلة بالغة عندما استمع إلى نصائح المسير دلسيس حين ذكر له انه لا يمكن للانجليز اقتحام القناة ، وصديق عرابي ذلك ولم يهتم مطلقا بإغلاق القناة في وقت مناسب .

ونتيجة لموضوعية كتابات المسير " جون نينيه " فإن كتابه عن عرابي يعد كتابا بالغ الأهمية لدارسي الثورة العربية خاصة وأن صاحبه كان شاهد عيان للأحداث فكتب عنها كما رآها لا كما سمع عنها وهذا ما يعطى لأقواله قدرا كبيرا من الأصالة خصوصا وأنه يمثل وجهة نظر محايدة للثورة العربية، وأن لشهادته قيمة تاريخية خاصة .

وهناك بلنت^(١) Bulnt صاحب كتاب " التاريخ السرى للاحتلال البريطاني في مصر Secret History of the English occupation of Egypt ذلك الانجليزى الذى وقف بجانب الثورة ورجالها والذى يعد كتابه مصدرا رئيسيا للحركة الوطنية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر خاصة وأن صاحبه كان شاهد عيان لأحوال مصر خلال هذه الفترة وعلى صلة مباشرة برجالها ، كما انه كان علي صلة وأخمة أيضا بالقارحية البريطانية خاصة المتعلق منها بشئون مصر .

ومن المحتمل أنه قام بنور مزبور من خلال علاقاته بالطرفين وكتابه يعد من المراجع الأساسية والهامة لدراسة أحداث الثورة العربية وتطوراتها .

وهناك " برودلى " محامى العربيين وصاحب كتاب كيف دافعنا عن عرابي ورفاقه How we Defended Arabi and his Friends A story of Egypt and the Egyptians^(٢)

١ - زار بلنت مصر لأول مرة في عام ١٨٧٥ ثم عاد إليها في عام ١٨٨١ بعد أن ظهرت الثورة العربية على مسرح الأحداث بصورة واضحة واتصل بقادتها وعقد صلات شخصية مع بعضهم خاصة الشيخ محمد عبده ، وقام بنشر برنامج الحزب الوطنى في مجلة ألتيمس كما كلف مسكرتيره الشرقى لويس صابونجى بموافاته بتطورات الأحداث أولا بقول خاصة خلال سفره الى لندن .

٢ - نشر في لندن عام ١٨٨٤ .

وصاحب الدور الأساسي في الدفاع عن قادة الثورة العربية بعد انكسارهم فبعد أن بدأت محاكمة العربيين عقب الهزيمة طلبت المحكمة من عرابي الاستعداد للدفاع عن نفسه أو تعيين محام عنه فاختار عرابي المحامي المصري " عبد الكريم ناجي " للدفاع عنه لكن هذا المحامي رفض الدفاع عن عرابي خشية بطش الخديو به . وقد حدا ذلك بالستر بلنت Blunt أحد أصدقاء العربيين إلى الاتفاق مع المحامي الإنجليزي برودلي للدفاع عن عرابي . وقد وافق عرابي على توكيل برودلي في الدفاع عنه . وقدم له مستندات القضية . كما كشف له عن بعض الوثائق التي كان يخفيها وقد أوضح برودلي في كتابه قصة دفاعه عن عرابي وفي ثنايا الكتاب ذكر برودلي أن عرابي تعرض في السجن للقسوة والاستجوابات العنيفة . كما أنه منع من الاتصال بأصدقائه وتعرض لصعوبات جمة في محاولاته الاتصال بمحاميه .

وأشاد برودلي بمواقف عرابي . كما أشاد بالشيخ محمد عبده ووصفه بالرجل الموهوب والديبر بالذكر أن علاقة العربيين ببرودلي لم تتوقف على الدفاع عنهم فحسب بل استمرت قائمة خلال تواجدهم بالمنفى^(١) .

وفي تقديرننا أنه من المفيد أن يقدم الباحثون في أحداث الثورة العربية بالرجوع إلى ذلك الكتاب الذي يعد شاهد حيّان على أحداثها^(٢) .

وهناك الروسي " تيودور روز شتين"^(٣) صاحب كتاب خراب مصر Egypt's Ruin والذي ترجم إلى العربية تحت عنوان المسألة المصرية بواسطة الاستاذين عبد الحميد العبادي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي ، ومحمد بدران المدرس بالمدرسة الثانوية

١ - لتفاصيل انظر عرضنا لهذا الكتاب في مجلة السياسة الدولية يناير ١٩٨٢ من ١٧٠ - ١٧١ .

٢ - للتجدير بالذكر أن الهيئة المصرية العامة للكتاب قامت بنشر هذا الكتاب عام ١٩٨٧ بعد أن ترجمه عبد الحميد سليم إلى العربية .

٣ - فر من بلاده هربا من صف الحكم القيصري . وحظ رحاله في لندن . وشارك السياسي الإنجليزي بلنت في دراسة المسألة المصرية . ونتيجة لتعاطفه مع القضية الوطنية المصرية اختاره مصطفى كامل لرئاسة تحرير جريدة الأجيبيان ستاندار وبعد انهيار الحكم القيصري وقام الثورة البلشفية في روسيا اختاره الزعيم الروسي لينين سكرتيرا خاصا له .

انظر جورج يانج : تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل .

الملكية ، وتم نشره في عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م والكتاب في مجمله يتضمن الإشادة بفضل الخديو إسماعيل وأعماله ، كما يحمل بين جنباته دفاع المؤلف عن القضية المصرية مشفوعا بوثائق رسمية ومستندات قضح بها الاستعمار البريطاني كما لم يقضح استعمار من قبل . وهناك " البرت فارمان " القنصل العام للولايات المتحدة بالأسكندرية مؤلف كتاب مصر وكيف غدر بها (١) .

Egypt And Its Betrayal

والذي يتناول فترة حكم الخديو إسماعيل ويبرز بشكل واضح المؤامرات الاستعمارية لتقويض استقلال مصر ويقضح النوايا الخفية والأهداف الصريحة للاستعمار . والجدير بالذكر أن هذه المجموعة من الأجناب لا تنتمي إلى الكتابة التاريخية بصفة المهنة أو التخصص وإنما كتبت ما نشرته بدافع من ضيمها ، وابراراً لوقائع شاهدها وربما شاركت فيها أو تعاطفت معها مما يعني أن من يتناول كتابات هؤلاء بموضوعية يرى أنه ليس من المحتم أن يكون كل أجنبي كتب في تاريخ مصر تناوله من وجهة نظر استعمارية .

٢ - مجموعة القصر

١ - مجموعة الأمراء وكبار الموظفين وهذه المجموعة وجدت من فراغها وأماكناتها المادية ما يسمح لها بالكتابة في التاريخ ومن هؤلاء الأمير " عمر طوسون (٢) " و " أحمد شفيق (٣) " و " جرجس حنين (٤) " و " أمين سامي (٥) " .

- ١ - ترجمة عبد الفتاح عايت ، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في عام ١٩٦٤ .
- ٢ - ابن محمد سعيد بن محمد علي . ولد بالأسكندرية عام ١٨٧٢ وتعلم في سويسرا وأخذ الحركة الوطنية بقله وماله .
- ٣ - ولد بالقاهرة في عام ١٨٦٠ ، وتخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس ، وعين وكيلاً للجامعة الأهلية ، كما تولى رئاسة الديوان الخديوي في عهد عباس الثاني .
- ٤ - ولد بالفيوم ، وخدم الحكومة كاتباً فرئيس كتاب ، فمراقباً مالياً ، ومدرساً لقوانين المالية في مدرسة البرابيس والإدارة ، وتوفي بالقاهرة عام ١٩١١ .
- أنظر - الزركلي : الأعلام ج٢ ص ١١٥ .
- ٥ - ولد بأحدى قرى قنوب في عام ١٨٥٧ ، وتخرج في مدرسة الهندسة بالقاهرة واشتغل بالتعليم واختير عضواً في مجلس الشيوخ وتوفي بالقاهرة في عام ١٩٤١ .
- أنظر الزركلي : الأعلام ج٢ ص ١٧

أما الأمير عمر طوسون فقد كان له ولع شديد بالاطلاع على تاريخ مصر والسودان وجغرافيتهما ، كما كان يحنّاء منقبا في بطون الكتب التاريخية وساعده على ذلك إجادته للتركية والعربية والفرنسية والانجليزية^(١) ، ونتيجة لذلك قام بتصنيف العديد من المؤلفات التاريخية بالفرنسية والعربية التي تبلغ نحو ٤٠ كتابا ويعدّونه امتعان على تأليفها ببعض المؤلفين العاملين بقصوره وغيرهم^(٢) وفي هذه الكتب أبرز إنجازات أسرة محمد علي ، والنور الذي قامت به لتطوير مصر في شتى الناحي ، والمفاخر التي تحققت على يديها فحول الجيش المصري وتطوره وانتصاراته في عصر هذه الأسرة كتب صفحة من تاريخ مصر البري والبحري في عهد محمد علي باشا ، و " الصنائع والمدارس العربية في عهد محمد علي " ، و " أعمال الجيش المصري في المكسيك " ، وفتح دار فور " ، و " مديرية خط الاستواء من فتحها إلى ضياعها " وعن النهوض بالتعليم وتطوره كتب " البعثات العلمية في عهد محمد علي وفي عهد عباس وسعيد " ، وعن ازدهار أحوال مصر المالية والاقتصادية كتب مالية مصر من عهد الفراغة الى الآن ، وعن تطور حركة الري والزراعة كتب " تاريخ خليج الاسكندرية وترعة المحمودية " وعن التوسع المصري في السودان كتب " مصر والسودان " و " المسألة السودانية^(٣) .

وعن ما حدث لمصر من نكبات من جراء التدخل الاجنبي في شئونها كتب " يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ " .

وعلى الرغم من ان هذه الكتابات قد طغى عليها جانب السرد وطريقة القس والتسقي فانه مما يحمد للأمير عمر طوسون أنه لم يتقيد بتقاليد أسرته فتحدث عن الحركة الوطنية في بعض هذه الكتابات يضاف الى ذلك انه أزر هذه الحركة ليس بقلمه فحسب ولكن بماله أيضا وكانت له أنشطة علمية متعددة منها عضوية الجمعية الجغرافية والتجمع العلمي بدمشق .

١ - زكي مجاهد : الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ج١ ، القاهرة ، مكتبة مجاهد ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م ص ٣٦ ، ومذكرات قلبي فهمي ج٢ ، القاهرة ١٩٣٤ ص ٣٣١ .

٢ - خير الدين الزركلي الاعلام ج٢ ص ٤٨ .

٣ - حول مؤلفات عمر طوسون وأثاره وأعماله العلمية انظر قلبي فهمي في كتابه الأمير عمر طوسون، حياته ، أثاره ، أعماله .

وبالنسبة لأحمد شفيق فقد كتب أيضا عدة مؤلفات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر أبرزها :

" مذكراتي في نصف قرن " و " حوايات مصر السياسية " ، و " أعمالى بعد مذكراتى "

وحول مذكرات شفيق نذكر انها تناولت الفترة الواقعة بين ١٨٧٣ - ١٩٢٢ وهى فى ثلاثة أجزاء تناول الأول منها نهاية عصر اسماعيل إلى انتهاء حكم توفيق ، وتناول الثانى فترة حكم الخديوى عباس الثانى حتى عزله أما الجزء الثالث فقد أمتد إلى عام ١٩٢٢ . ولقد تميزت هذه المذكرات بالصراحة والوضوح أحيانا ، وبمساندة موقف الخديو والأسرة الحاكمة أحيانا أخرى فلم يستطع أحمد شفيق التخلص من ولائه لأسرة محمد على فعندما تحدث عن الثورة العربية اتهم زعيمها بالفرور وبأنه كان السبب فى ضياع مصر ، وسقوطها فى يد الانجليز . وعلى أى حال فوجهة النظر هذه تبناها البعض فى ذلك الوقت . يضاف إلى ذلك أنه كان يرى فى " الخديوى توفيق " الحاكم الذى يدافع عن حقوقه الشرعية ، وفى " الخديوى عباس الثانى " الحاكم الوطنى الذى تحالف مع الشعب المصرى ضد الانجليز من أجل تحقيق سيادة مصر ورد اعتبارها .

والمذكرات كتبت فى معظمها على طريقة الحوايات ، وتميزت بالعديد من ألوان النشاط الاجتماعى والأدبى والسياسى وأبرزت الجانب الوطنى بين أفراد الشعب ، وإلى جانب ذلك فقد دون شفيق مذكراته عن المشاهدات والحوادث التى وقعت تحت سمعه وبصره ، ومدى مشاركته فى هذه الأمور بحكم عمله فى القصر الخديوى كما كشف للمؤرخين الكثير من الغوامض التى كانت غير معروفة من قبل ومن هنا جاءت مذكراته ذات فائدة هامة لتاريخنا الحديث والمعاصر .

ومن حوايات مصر السياسية فهى تتكون من عشرة أجزاء جمع فيها المؤلف العديد من الوثائق والتقارير والخطب السياسية مع نبذة قصيرة لتاريخ مصر منذ عصر محمد على حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذ فى سرد الحوادث بعد ذلك من الحرب الأولى إلى عام ١٩٢٢ .

وقد قسم شفيق كل حواية فى حواياته إلى اثنى عشر بابا كعدد الشهور ، تضمن كل باب حوادث شهر من الشهور .

وتفتقر حوايات شفيق إلى المنهج العلمي بشكل لا تصلح به أن تكون تاريخاً للفترة التي تعرضت لها وأن كانت تصلح كمادة خام موثوق فيها ، كما أنه يمكن أن يطلق عليها جريدة الجرائد المعاصرة فهي ليست دراسة ولكنها تسجيل للحوادث الجارية تستهدف تيسير الرجوع إليها^(١) .

أما عن كتابه " أعمالى بعد مذكراتى " فقد جاء متمماً لمذكراته فتضمن العديد من الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد بدأ بالحديث عن المفاوضات المصرية البريطانية فتناول مفاوضات " سعد زغلول - ملتر " وتبعه بالحديث عن مفاوضات " على - كيرزن " وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وانتقل الى محادثات سعد ماكثونالد ١٩٢٤ وفشلها ، ومشروع محمد محمود هندرسون ومعارضه الولد له كما انتقل إلى معاهدة ١٩٣٦ وأطن عن ابتهاجه لتحقيقها وومضى شفيق في الحديث عن الجوانب الاجتماعية في القصر الملكي فتحدث عن الأفراح التي أقيمت بمناسبة زواج الملك فاروق والمصاهرة التي تمت بين الأسرتين الملكيتين في مصر وإيران وانتقل بعد ذلك للحديث عن شؤون التعليم في مصر والبلدان العربية فيعرش رأيه بوشوح وصراحة ، وأخيراً تطرق إلى النظام الحزبى في مصر موضحاً عيوبه والطرق الكفيلة بعلاجه .

والكتاب في مجمله أضاف إلى تاريخ مصر المعاصر إضافات مفيدة خصوصاً وأن صاحبه تجرد في الكثير من الأحيان من الانفعال الشخصى وإن كانت الذاتية قد طفت في بعض الأحيان على صاحبه .

وعلى كل حال فإن كتابات أحمد شفيق تعد مهمة بصفة عامة خاصة وأن صاحبها يعتبر شاهد عيان للكثير من حوادثها ومع ذلك فإن حكمه على بعض الأحداث قد ارتبط بموقعه كمستول داخل القصر مما أبعدته عن الموضوعية في بعض الأحيان فما كتبه عن العربيين يعوزه الكثير من إمادة النظر ، وما كتبه عن موقف عباس الثانى من الحركة الوطنية يعوزه الكثير من الوشوح ، وحديثه عن الحياة النيابية المصرية جاء مبتوراً .

١ - عبد العزيز رفاعى : أحمد شفيق المؤرخ حياته وآثاره ، القاهرة ، دار المصرية للتراث والترجمة ١٩٤٤ ص ١٤٨ .

وعن " جرجس حنين " - أحد مديري الأموال المقررة بنظارة المالية فقد كتب "الضرائب والأطيان في القطر المصري" (١) ويشمل الأوامر والوثائق القديمة المختصة بمسائل الأطيان وقواعد الملكية والتمويل وذلك بغرض الدفاع عن مصالح الحكومة في بعض القضايا التي رفعت خضعا من الأفراد كما يشمل أيضا وأغيا عن أصول المعاملات بين الحكومة والأهالي في هذه المسائل .

وقد ابتدأ الكتاب بتفصيل أنواع إيرادات الحكومة وقيمة ما يجبي من كل نوع منها بحسب تقدير ميزانية ١٩٠٤ وتاريخ وحدة النقود . وبيان التاريخ الرسمي في حسابات الحكومة . وبيان الضرائب والأموال والرسوم التي تجاوزت عنها الحكومة نوعا وقيمة ، وضرائب الأطيان وطريقة تعيين مقادير الأراضى . وتاريخ المقاييس وأقسام أراضى كل بلد . وتاريخ مساحة فك الزمام وأشكال الدفاتر والمطبوعات المستعملة في ذلك الوقت .

وكتب " أمين سامى " كتابيه تاريخ التعليم في مصر بين سنتى ١٩١٤ و ١٩١٥ (٢) وتقويم النيل (٣) واهتم فيهما بنشر الوثائق على أساس أنها من أهم المصادر في الدراسة التاريخية .

وبالنسبة للكتاب الأول فقد بين فيه المؤلف مراتب التعليم في القرون الأولى حتى وصل الى سنتى ١٩١٤ و ١٩١٥ وعزّز كتاباته بإحصاءات عن التعليم في مصر ، كما أن به العديد من الملاحق التي تشمل عدد تلاميذ المدارس الحكومية جملة وتفصيلا من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٩١٥ وتطور خطط التعليم بالمدارس ابتداء من عام ١٨٢٧ حتى عام ١٩١٦ ، و به أيضا ملخص لوائح الشهادات الدراسية مثل الابتدائية والكفائة والثانوية من عهد انشائها حتى تاريخ تكليف الكتاب ، كما أرفق به الخطط والرسوم المعدة لإنشاء بعض المدارس ، وأسماء المدرسين ونظام المدارس الحكومية وتواريخ

١ - طبع بالطبعة الأميرية ببولاق في عام ١٩٠٤ م .

٢ - صدر عن مطبعة المعارف بالقاهرة في عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م .

٣ - صدر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء هي

تقويم النيل وعصر محمد علي القاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٢٨ تقويم النيل وعصر عباس باشا الأول ومحمد سعيد ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب تقويم النيل وعصر اسماعيل في ثلاثة مجلدات القاهرة - مطبعة دار الكتب ١٩٣٦ .

تعيينهم وانتهاء خدمتهم منذ عصر محمد علي وحتى عام ١٩١٦ أما عن كتاب تقويم النيل فهو يتكون من مقدمه وثلاثة أجزاء ^(١) وملحق استغرق أمين سامي في كتابتها خمسة وعشرين عاما ، وفيه تطرق من خلال عرض تاريخي إلى علاقة مصر بالنيل ، وعلاقة الفيضان بآزدهار أحوال مصر أو تأخرها وأثر ذلك على حياة الشعب المصري من الناحية الاقتصادية، كما تعرض للأحداث الهامة التي طرأت على مصر، وتطور تعداد السكان خلال الحملة الفرنسية ومصر محمد علي ، وعمليات مسح الأرض والتعليم وتطور موارد مصر، كما تابع الصفوة الحاكمة من خلال عرشه لموظفي الإدارة، وأحلال المصريين في بعض المناصب الإدارية ابتداء من عصر سعيد ، وتطور القوة العسكرية المصرية.

وحول تقسيم أجزاء الكتاب يمكن القول أن المؤلف تعرض في الجزء الأول منه لصفحة من تاريخ مصر منذ الفتح العربي لها وحتى الفتح العثماني ، وفي الجزء الثاني تناول المؤلف تاريخ مصر من الفتح العثماني حتى عصر محمد علي أما الجزء الثالث بمجلداته الثلاثة فقد اشتمل فترات حكم عباس وسعيد وإسماعيل

وبالنسبة لمصادر الكتاب فقد اعتمد المؤلف على المصادر الإسلامية المعروفة ، ورجع إلى الوثائق المحفوظة بالدفتر خاتمه المصرية وإن كان قد أهمل الإشارة في الهوامش إلى العديد من أرقام المحافظ والدفاتر التي أخذ عنها يضاف إلى ذلك أنه اعتمد على بعض المصادر الأوروبية والتركية وقارنها بمشيلتها العربية.

ولأمين سامي دراسة أخرى عن النيل تعرف باسم " مصر والنيل " وهي عبارة عن ملخص لما كتبه من قبل وفي النهاية يمكن القول أن أمين سامي كان من الكتاب الموسوعيين - مثله كمثل علي مبارك - الذين وإن كانوا قد انشغلوا من الهندسة مهنة فإنهم انشغلوا من دراسة التاريخ وكتابته هواية ، وكانت كتاباتهم شكلا من أشكال الكتابة التجميعية في التاريخ ويكفي أمين سامي فخرا وصف شفيق غريال له بأنه " شيخ المعلمين وقوتهم في الدأب على العلم النافع " ^(٢) كما يكفيه فخرا أنه كان باحثا منهجيا أكثر ممن سبقوه .

١ - ينقسم الجزء الثالث إلى ثلاثة مجلدات كبيرة .

٢ - انظر تقديم شفيق غريال لكتاب أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم في عصر محمد علي .

ب - مجموعة القصر الأوربية التي دعاها الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرته

بعد أن وصل الأمير أحمد فؤاد إلى الحكم ^(١) شجع على بزوغ حركة النهضة التاريخية ، وعمل على إمالة الثام عما احتوته دور المحفوظات والوثائق من المستندات والوثائق الدبلوماسية .

ولا ندري ما الذي دفع الملك فؤاد إلى القيام بهذه التجربة مع أن ثقافته لم تكن تتيح له التفكير في هذه الخطوة الهامة واللائقة للنظر ويبدو أن الملك فؤاد رأى أن تاريخ أسرة محمد على بدأ يحترق برعته أمام الشعب المصري بعد ما سببه والده إسماعيل من ديون لمصر تسببت في الإطعام الأجنبية لها ، وما سببه أخوه توفيق - بعد استنجاذه بالانجليز لحمايته - في الإحتلال الإنجليزى لمصر ، ومن هنا رأى ضرورة إحياء تاريخ أسرته عن طريق الإشادة بجديه إبراهيم ومحمد على ، ووالده إسماعيل ، وإبراز دورهم في تأسيس مصر الحديثة فأمر بتشكيل لجنة في عام ١٩٢٥م برئاسة " حسن باشا نشأت " لجمع ما في القصر الملكي ، ودار المحفوظات العمومية بالقلمة والنور الحكومية من وثائق تتعلق بتاريخ أسرته ^(٢) واستقدم المستشرق الفرنسي " ديني " Deny في عام ١٩٢٦ ل فحص الوثائق التركية وخاصة التي تتعلق بحروب الشام ، والغرامات السلطانية الخاصة بأسرة محمد على ^(٣) وترجمتها إلى العربية ، واستغل علاقته الشخصية مع

١ - بعد وفاة السلطان حسين كامل في التاسع من أكتوبر ١٩١٧ تولى الأمير أحمد فؤاد عرش السلطنة .

٢ - عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية ج٢ ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م ص ٢٤٨ .

٣ - قام المستشرق ديني بالتعريف بهذه الوثائق في كتابه القيم " خلاصة المحفوظات التركية في القاهرة " .

Sommaire Des Archives turques du caire

وقد نشر هذا الكتاب في عام ١٩٣٠ ، وظل هادياً ومرشداً للباحثين في هذه الفترة خاصة وأنه من المؤلفات النفيسة وبه وصف دقيق للخطبة الثمينة في ترتيب المحفوظات المصرية وتنسيقها وعادات الوثائق والكتاب في القيد والضيبط .

رؤساء الحكومات في أوروبا ، واستنسخ تقارير قناصلهم في مصر في القرن التاسع عشر ^(١) كما أمر بنقل الوثائق الخاصة بالفترة ما بين حكم محمد علي وبداية الحرب العالمية الأولى من دار المحفوظات المعمومة بالقلة إلى قصر عابدين في مبنى أطلق عليه " دار الوثائق السرية والمحفوظات التاريخية الملكية " بهدف إتاحة الفرصة لعدد من المؤرخين ليكتبوا تاريخ أسرته وفقا لتوجيهاته ورغباته ^(٢) بغرض إخفاء أخطاء والده إسماعيل ، ونسبة أمجاد مزيفة اليه ، ولما كان الملك فؤاد لا يثق في قدرة المؤرخين المصريين على القيام بهذا العمل ^(٣) فقد استأجر بعض المتطفلين على موائد التاريخ من الأوربيين والأمريكيين والعرب ^(٤) ووعدهم بالمكافآت السخية إذا كتبوا تاريخ أسرته بالطريقة التي يرتضيها وقد استجاب لطلبه كل من دوان Douin الفرنسي وأنجلو سامماركو A. Sammarco الإيطالي ، وديونود Dodwell الإنجليزي ^(٥) والقاضي الأمريكي كرايبتس Crabites وشارل رو Charles Roux سفير فرنسا لدى الكرسي البابوي وعضو المجمع الفرنسي وجبرائيل هانوتو ^(٦) Hanotau وغيرهم من الأوربيين أما من استجاب له من المتطفلين والمرتزقة العرب فكان أبرزهم الياس الأيوبي .

١ - محمود عباس حمودة : المدخل إلى دراسة الوثائق العربية ، القاهرة دار الثقافة ، ١٩٨٠ ص ٤٠ - ٤١ ، وأسد رستم المحفوظات الملكية المصرية - بيان بوثائق الشام - المجلد الأول ١٩٤٠ .

٢ - حمودة : المرجع السابق ص ٤١ .

٣ - كان من أبرز المؤرخين المصريين الذين ظهروا في ذلك الوقت محمد حسري السريوني الذي عاد إلى مصر في عام ١٩٢٤ بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة السربون ولكنه كان مكروها من القصر الملكي خاصة وأنه وصف الملك فؤاد في كتابه La Révolution Egyptienne بأنه ملك لا شعبية له .

٤ - د . أبو الفتح وشوان : التاريخ في متاحف الدراسة بمصر ، دراسة ضمن كتاب تدريس التاريخ لهنري جونسون ص ١٤٥ .

٥ - ذكر الدكتور محمد أنيس أن المؤرخ الإنجليزي ديونود ذكر له أثناء دراسته في لندن أن لم يتلقا من خمس مائة جنيه من الملك فؤاد على كتابه مؤسس مصر الحديثة وأنه يرى أن هذا المبلغ أقل من الجهد الذي بذل فيه .

أنظر : المجلة ، نوفمبر ١٩٦١ مقال تحت عنوان "شليخ غريبال ومدرسة التاريخ المصري الحديث" .

٦ - من المعروف أن هانوتو له عدة مقالات طعن فيها الإسلام والمسلمين وأن الشيخ محمد عبده كان قد رد عليه في عدة مقالات نشرتها المؤيد في أبريل ١٩٠٠ م .

ومن المؤلفات التي كتبها هؤلاء نذكر كتاب Histoire Du Règne Du Khedive Ismail والذي نشرته الجمعية الجغرافية الملكية في مصر في أربعة أجزاء في الفترة من ١٨٣٢ إلى ١٨٣٩ ومن أبرز ما فيه ما كتبه حول جهود الخديو إسماعيل في إصلاح القضاء La Reforme Judiciaire والصراع الذي خاضه نوبار باشا في العواصم الغربية. وفي الأستانة حتى تحقق له الموافقة على إنشاء المحاكم المختلطة^(١).

وحول أنجلو ساماركو الإيطالي وكتابات نذكر أن الملك فؤاد وابنه فاروق أعدا عليه الكثير من مظاهر الرعاية فيعد أن قدمه أحد الموظفين الإيطاليين بقصر عابدين إلى الملك فؤاد على أنه مؤرخ كبير يمكن الاستفادة منه فيما يريد الملك كتابته أمر الملك فؤاد بضمه إلى مجموعة كبار الأساتذة الأجانب الذين عكفوا على كتابة موسوعة تاريخ مصر عبر العصور " وعرفت باسم ملخص تاريخ مصر - *Precis de L' Histoire d' Egypte* كما كلفه بالساعمة في جمع الوثائق التاريخية فقام بأعداد سبعة مجلدات من الوثائق المستخرجة من نور المحفوظات الإيطالية والنسائية والخاصة بتاريخ مصر الحديث ، وأهم هذه الوثائق ما كان لها خاصا بالحملة المصرية على بلاد الشام . وقد كتب أنجلو ساماركو الجزء الرابع من ملخص تاريخ مصر وتناول فيه تاريخ عباس وسعيد وإسماعيل من الفترة من ١٨٤٨ إلى ١٨٧٩^(٢) كما كتب مبادئ في تاريخ مصر " وقد وضعه خصيصا للمدارس الإيطالية .

ونتيجة لرضا الملك فؤاد عن " ساماركو " كلفه بوضع تاريخ شامل للنهضة المصرية في عدة أجزاء فاعتمد وضع مجموعة منفرد بتأليفها تتناول تاريخ مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٨٠١ حتى بداية الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ ولم يظهر من هذه المجموعة سوى الجزء الثالث الذي يسجل في معظمه سنوات حكم الخديو إسماعيل من عام ١٨٦٢ حتى عام ١٨٧٥ وهذا الجزء ليس إلا نسخة مكررة

١ - انظر الجزء الثاني الفصول من السادس إلى التاسع صفحات ١٨٥ - ٢٨٢

٢ - أنجلو ساماركو: المظيلة في مسالة قناة السويس - ترجمة طه فوزي القاهرة ، ١٩٤٠ ص ٨ .

مما ورد في الجزء الرابع الذي كتبه في الموسوعة سابقة الذكر مع اختلاف يسير في الصياغة اللفظية^(١) يضاف الى ذلك أن الاستاذ " ساماركو " كتب بحثاً بالاطالية تحت عنوان " الحقيقة في مسألة قناة السويس "

La Verita Sulla Questione Del Canal Di Suez

تكلم فيه عن تاريخ قناة السويس ودور مصر في اتمام هذا المشروع وما اضطلعت به من الأعباء وما تحملته من التضحيات في سبيله .

والمتصفح لما كتبه ساماركو يجده يركز على اتجاهين هما :

١ - الإشادة بدور أسرة محمد علي في بناء مصر الحديثة .

٢ - إبراز دور إيطاليا في تحديث مصر .

والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها :

١ - تمتعه بقلعة الملك لدفاعه عن أعمال جديده محمد علي وإبراهيم ووالده اسماعيل .

٢ - محارلاته اثبات أن الهادفة كانوا أول من فكر في شق قناة السويس لكي يصل أحد البحرين بالآخر^(٢) .

والجدير بالذكر أنه بعد انضمام إيطاليا إلى دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية أصبحت الحكومة المصرية قرراً بإبعاد " ساماركو " من مصر في عام ١٩٤٠ .

أما عن القاضي الأمريكي " بيير كراييتس " فكان يعمل قاضياً بالمحاكم المختلطة في مصر ، وقد كلفه الملك فؤاد بالدفاع عن والده اسماعيل ، وتقنين المزاعم التي ذهب اليها " ملتر " ، و " كرومر " و " زيتلند " ، و " كولفن " وغيرهم من أنه كان مبشراً ولصاً وأن حكمه كان في مجمله مجموعة شرور ومقاسد ومساوئ ، وأن سلطانه غير المحدود كان على موارد محدودة .

١ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها ، الجزء الرابع ، القاهرة ، الانتشار المصرية ، ١٩٨٦ ص ٢٠٥٦ - ٢٠٥٨ .

٢ - أنظر ساماركو : المرجع السابق ص ١٩ .

وحتى يتيسر لكرايبيتس ذلك أنن له الملك فؤاد بالاطلاع على الوثائق الدبلوماسية والمستندات المحفوظة في الخزائن الملكية وغيرها . وقد قام كرايبيتس بهذه المهمة خير قيام وأخرج كتابه إسماعيل المقترب عليه ^(١) .

Ismail the Maligned khedive

الذى دافع فيه عن أعمال الخديو إسماعيل ، ووصفها بأنها ساعدت على ترقية مصر وخلقها من جديد ، كما وضع الخديو إسماعيل في مصاف كبار المصلحين الذين كلما وجود الزمان بهم لهم فقال كان إسماعيل سابقا لأوانه بعدة أجيال ، والعالم يسامح الرواد .. وأن حضارة الأمم كحضارة اليوم تصفق للزكاه المتألق ، لكنها تتسك بالعقول المادية المتوسطة ، لذلك لم يكن فيها للخديو الذى كان كبشاً للتفسيح على هيكل الأنظمة الاقتصادية أى محل لأنه كان أكبر من محيط ^(٢) .

وبالنسبة لما كتبه Charles Roux ذلك الفرنسي الذى عاش في مصر العديد من الحوادث التي جرت في مصر بعد الاحتلال الإنجليزي لها نذكر دراسته المعنونة .

L'Egypte de l'occupation Anglaise à l'Indépendance Egyptienne.

وفي هذه الدراسة كتب " شارل رود " في تاريخ مصر الحديث والمعاصر من ١٨٨٢ وحتى معاهدة ١٩٣٦ تلك الفترة المليئة بالتطورات المتلاحقة والأحداث الهامة .

وقد مهد المؤلف لدراسته بالتطرق إلى الستين السابقتين لعام ١٨٨٢ كما قارن بين حملة " ولسلى " في سنة ١٨٨٢ وحملة " هتشنسون " التي شركت في إخراج الفرنسيين من مصر ١٨٠١ ومدى استفادة إنجلترا من هذه التجريب بأعلاناتها أنها لن تخرج من مصر قبل أن تطمئن إلى أحوالها وإلى عدم عودة احتلال أجنبي آخر لها .

١ - الكتاب كما يتضح من عنوانه يبدو أن هناك ظلما صارخا وقع على الخديو إسماعيل . وقد صدر هذا الكتاب في لندن في يوليو ١٩٣٣ وقد قال عنه مؤلفه لست أنا مؤلف الكتاب وإن كان اسمي موجودا على صفحة عنوانه .. لأنه في الواقع عبارة عن سلسلة وثائق ، ولا فضل لي إلا في جمع الطموحات .

٢ - إسماعيل المقترب عليه ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

وقد بين المؤلف النتائج التي تترتب على الاحتلال البريطاني لمصر وأشار إلى موقف كل من فرنسا والدولة العثمانية من المسألة المصرية وعرج إلى بعثة اللورد " دفرين " ومحاولة تنظيم شئون مصر ، وإلى مسألة قناة السويس ، ومن الطبيعي أن يساند موقف فرنسا من المسألة أثناء تعرضه للعلاقات الانجليزية الفرنسية فيما يختص بمصر . وينقل " شارل رو " بعد ذلك إلى سياسة اللورد كرومر ومشكلة السودان والثورة المهدية ، ويشرح موقف الحكومة الانجليزية ازاء هذه الثورة ثم يتعرض للنواحي الدولية ازاء الأزمة المالية وإلى بعثة السير " هنرى درمند ولف " ، وإلى نمو النفوذ الانجليزى فى الادارة المصرية .

وتنتهى الفصول السبعة الأولى من هذه الدراسة بعوت القديوى توفيق ويبدأ الفصل الثامن بتولية عباس الثانى والنزاع بينه وبين اللورد كرومر وكيف حاولت فرنسا استغلال ذلك النزاع لصالحها ثم يفرد المؤلف فصلا خاصا لاسترداد السودان واتفاقية ١٨٩٩ ويخصص بعد ذلك فصلا لمصطفى كامل ونمو الحركة الوطنية والاتفاق الردى وعزل كرومر ثم ينتقل الى السير النون جوردست وكيتشنر .

وفى الفصل العاشر يتعرض المؤلف لأحوال مصر إبان الحرب العالمية الأولى وتعتقد الموقف السياسى نتيجة لانضمام الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنور الذى قامت به مصر خلال الحرب ويستمر " شارل رو " فى التعرض لأحوال مصر فى عهد السلطان فؤاد ويتحدث عن نمو الحركة الوطنية وثورة ١٩١٩ وبعث ملنر ثم إلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر مع وضع التحفظات الأربعة كما يتحدث عن الحوادث العنيفة التى حدثت فى مصر مثل مقتل السردار " السر لى ستاك " وغيرها ويصل فى نهاية المطاف إلى معاهدة ١٩٣٦ .

ومع أن هذه الدراسة فى مجملها موجزة ، فإنها مهمة وإن كانت تعرض لوجهة النظر الفرنسية بشكل واضح ، كما أن صاحبها لم يرجع إلى الوثائق الانجليزية ولم يتعمق فى موقف الدول الكبرى ازاء المسألة المصرية أو فى شرح تطور الحركة القومية فى مصر . ومع ذلك فقد حاول صاحبها توضيح الحوادث التى مرت بها مصر بشكل أفضل ممن سبقوه من الكتاب

هذا عن المؤرخين الأوروبيين الذين استجابوا لرغبة الملك فؤاد في إعادة كتابة تاريخ أسرته . أما عن المؤرخين المتطقلين على موائد التاريخ من العرب فكان أبرزهم "الياس الأيوبي" صاحب كتاب " تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٩ " والذي يتألف من مجلدين مجموع صفحاتهما ١٠٨٤ صفحة وينقسم إلى سبعة أجزاء تشتمل على اثنين وثلاثين فصلا .

وقد قدم المؤلف هذا الكتاب إلى الملك فؤاد بمقدمة تتسم بالتزلف والتفاق فقد صور صاحبها الخديو اسماعيل بأنه أعاد لحصر مكانتها المفقودة في الخارج ، وأن عهده امتاز بالتطور الاجتماعي السريع الذي نهض بعقليه القطر المصري وكاد يرفعها إلى مصاف بلاد الغرب ، وأن من حقه أن يفخر بما فعل قائلًا " انفصلت بلادى عن إفريقيا لأننا أصبحنا جزءا من أوروبا " وإلى جانب ذلك خاطب الملك فؤاد بقوله " فلم يك والدك الجليل ثورا ساطعا فحسب بل كان شمسا متألقة في سماء مصر ، ولا غر إذا اتجهت ريفيتك يامولاي وأنت أبر أبناء هذا المصلح العظيم الذي تمت على يديه جميع هذه الدعشات إلى أن يفصل التاريخ وقائعها ... فلنتفضل جلالتك وتآذن يرفعه إلى سدنتكم الملكية مقدما بين يدي من صادق اخلاصى وعظيم طاعنى وعبوديتى لكم خير شقيق^(١) " ونتيجة لأن ما كتبه " الياس الأيوبي " قد حقق للملك فؤاد ميتغاه فقد أمر بتوزيعه على مدرسى التاريخ بالمدارس المصرية مجانا^(٢) .

وعلى أى حال وعلى الرغم من استجابة المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين والعرب لرغبة الملك فؤاد في تعجيد تاريخ أسرته وتبرير أخطائها ، وتصرفات حكامها ، وانقادهم إلى الموشوعية أحيانا وإلى الروح الأكاديمية أحيانا أخرى لا يستطيع أحد أن ينكر أنه بفضل ما كتبه هؤلاء ظهرت مجموعه نفيسة ومجلدات متعددة - ملأت العديد من رفوف المكتبات - كشفت عن العديد من الصفحات المجهولة في تاريخ مصر ، واستطاعت التأثير على المفاهيم التاريخية في دراسة تاريخ مصر الحديث والتي تنحصر في أن الفضل في تطور مصر السياسى والاقتصادى والاجتماعى يرجع إلى

١ - انظر المجلد الأول من ١٩ - ٢٤ (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٣) .

٢ - د . ابو الفتوح رضوان : المرجع السابق من ١١٦ .

جهود محمد على وأسرته ولكن هل هذا يعنى أن كل من كتب عن مصر من الأجانب خلال هذه الفترة كان على شاكلة هؤلاء ؟ الواقع أن مصر عرفت بعض الأجانب الذين كتبوا الحقائق التي شاعروها بأنفسهم بدافع من ضمائرهم .

٣ - مجموعة الحركة الوطنية

١ - المجموعة التي تناولت تاريخ مصر والتي تكونت من طبقة المصريين

البارزين في مجال الزعامة والسياسة والفكر واتخذت من التاريخ هوية ومن أبرز أفراد هذه المجموعة " مصطفى كامل " و " محمد فريد " و " عبد الرحمن الرافعي " .

وهذه المجموعة كان لها أكبر الأثر في تنمية الوعي التاريخي لدى الشعب المصري خاصة وأنه في أعقاب الاحتلال الإنجليزي لمصر تخرج الطلاب من المدارس العالية وهم لا يعرفون من تاريخ بلادهم سوى النزر اليسير ، حتى المناهج التاريخية التي لفتت لهم ركزت اهتمامها على الغرب أكثر من عنايتها بتاريخ مصر وحضارتها ، وكان التاريخ المصري يعرض على الطلاب عرضاً جافاً مختصراً بشكل مغل دون تناسق أو ارتباط بين أجزائه المختلفة ويبقى الحال على ذلك حتى ظهر " مصطفى كامل " وحزبه فكانت كتاباتهم خير دعاية للقضية المصرية ، وخير هداية إلى الطريق الذي يفرج الناس من الذل والعبودية إلى الكرامة واستعادة الأمل ، كما كانت في معظمها حججاً قانونية تاريخية أما القانون فقد درسوه ومارسوه في دفاعهم عن قضية مصر واستقلالها وأما التاريخ فقد اقبلوا على دراسته ليستعينوا به في تبيان الحقيقة للرأي العام داخل مصر وخارجها وأثبتت عدم شرعية الاحتلال البريطاني وتبعية مصر للدولة العثمانية ونتيجة لذلك أخذ مصطفى كامل ومحمد فريد في تأليف الكتب التاريخية المتصلة بالمسألة الشرقية أو الدولة العثمانية أو عدم شرعية الاحتلال^(١) فقد ألف مصطفى كامل كتاباً من جزئين في تاريخ المسألة الشرقية أوضح فيه إلى حد كبير آرائه السياسية . وقد نشر هذا الكتاب في أبريل ١٨٩٨ بمناسبة انتصار الدولة العثمانية في حربها مع اليونان . والصفة الغالبة في هذا الكتاب هي الدفاع عن الدولة العثمانية وتأكيد حسن معاملتها

١ - الشبال : التاريخ والمؤرخون ص ١٧٩ .

لرعاياها من غير المسلمين^(١) ، وأن بقاها أمر ضروري للجنس البشرى وسلامة لأمر الغرب والشرق ، وزوالها يكون مجلبة للأخطار^(٢) وأكد على ضرورة التفاف المسلمين حول عرش السلطنة حتى لا تقع أوطانهم في مخالب الدول الأوربية وإلى جانب ذلك ألف مصطفى كامل كتاباً عن اليابان بعنوان " الشمس المشرقة " بمناسبة انتصار اليابان في حربها مع روسيا وأنه يجب على المصريين أن ينتظروا بعين الاعتبار إلى الأمة اليابانية التي صارت بفضل اتحادها ووطنيتها موضع تقدير وأعجاب العالم وتمنى مصطفى كامل في كتابه أن يحدث هذا الانتصار انقلاباً عاماً ، وأن يبعث في أمة الشرق روحاً جديدة ، ويوجد للمسلمين طريقة حياتهم^(٣) .

وآلف " محمد فريد " كتاباً في تاريخ الدولة العثمانية اسماء " تاريخ الدولة العلية العثمانية "^(٤) أوضح فيه تاريخ الأمم الإسلامية عامة والدولة العثمانية خاصة وتوقف عند السلطان " عبد المجيد بن عبد العزيز " آخر سلاطين العثمانيين وتطرق إلى أسباب إنهيار الدولة العثمانية والثورة الكمالية .

كما ألف فريد كتاباً آخر في تاريخ محمد علي عتوانه " البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية "^(٥) وفيه تحدث عن محمد علي وإصلاحاته في مصر والحروب التي خاضها وإلى جانب ذلك قلم محمد فريد مذكرات يمكن تقسيمها إلى قسمين القسم الأول وفيه سجل يومياته عن الأحداث التي شهدتها في الفترة المبكرة من حياته التي تقع بين ١٨٩١ - ١٨٩٧ وهي الفترة التي سبقت انضمامه إلى الحركة الوطنية بزعامة

١ - المسألة الشرقية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٨٩٨ ص ٧-٨ .

٢ - نفسه ج١ ص ٩٦ .

٣ - الشمس المشرقة ص ٢٦ وحول بقية مؤلفات مصطفى كامل يمكن الرجوع إلى على فهمي كامل : مصطفى كامل في ٣٤ يوماً سيرته وأعماله من خطب ورسائل سياسية وعمرانية ٦ أجزاء في ثلاثة مجلدات ، القاهرة ١٩٠٩ .

٤ - طبع في القاهرة عام ١٨٩٦ ، ثم نشرته دار الفانوس ببيروت بعد أن قام الدكتور احسان حقي بتتقيقه عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٥ - طبع بالمطبعة الأميرية القاهرة في عام ١٣٠٨ هـ .

* مصطفى كامل * . وتعد هذه المذكرات بمثابة مادة تاريخية هامة في فترة التحضير للحركة الوطنية التي انتمشت كرد فعل للوجود البريطاني في مصر (١) .

أما عن القسم الثاني من المذكرات فقد تولى مركز تاريخ مصر المعاصر نشرها نشرًا علميًا محققًا في مجلدين ، المجلد الأول تحت عنوان " مذكراتي بعد الهجرة ١٩٠٤-١٩١٩ (٢) " ، والمجلد الثاني بعنوان " المراسلات (٣) " وهو عبارة عن مجموعة خطابات متبادلة بين محمد فريد وبعض الشخصيات المساندة للحركة الوطنية من الأجانب والمصريين .

وفي هذه المذكرات يحدد فريد رؤيته لطبيعة الصراع القائم بين مصر وبريطانيا وتتلخص مطالبه في خروج الانجليز من مصر وإعادة تبعيتها للقوة العثمانية ، وتكشف هذه المذكرات عن علاقة الخديو عباس الثاني بقيادة الحزب الوطنى ومحاولاته السيطرة على زمام الأمور في الحزب ، كما تتعرض المذكرات لأفكار فريد بشأن استغلال الحركة الطلابية والعمالية في العمل على استقلال مصر ، وإلى نشاطه الوطنى في الخارج وفي يقيننا أن هذه المذكرات تعد تراثًا أصيلًا لا غنى عنه لكل باحث في الحركة الوطنية المصرية في الثلث الأول من القرن العشرين ، ولكل من يتطرق لتقديم ثورة ١٩١٩ .

وقد التزم رجال الحزب الوطنى بالاستمرار في الكتابات التاريخية فكتب * على فهمى كامل " مسيرة أخيه (٤) " ، كما ترجم الرسائل المتبادلة بينه وبين الصحفية الفرنسية "جوليت آدم" (٥) * وسارت الأمور على هذا المتوال حتى جاء " عبد الرحمن الرافعى " فاشرى المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة في تاريخ مصر الحديث والمعاصر كما كتب العديد من المؤلفات عن الشخصيات الوطنية المؤثرة في مسيرة النضال الوطنى .

حقائق أن مهنة الرافعى الرئيسية كانت المحاماة ، وأنه كتب التاريخ المصرى إشياعاً لرغبة لا التزاماً بمهنة وينطبق ذلك على غيره من رجال الحزب الوطنى أمثال

١ - قام الدكتور رؤوف عباس بتحقيق هذه المذكرات ونشرها في عام ١٩٧٥ .

٢ - نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب في عام ١٩٧٨ .

٣ - نشرت الهيئة المصرية العامة للكتاب الجزء الأول منه في عام ١٩٨٦ .

٤ - نشرت في عام ١٩٠٨ تحت عنوان " مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً " .

٥ - نشرت في عام ١٩٠٩ تحت عنوان " رسائل مصيرية فرنسية " .

عمر لطفي^(١) الذي كتب عن " الامتيازات الاجنبية " و " انشاء شركات التعاون " وفتحى
 رشوان الذي كتب العديد من المؤلفات التاريخية^(٢) فقد كانا من الحقوقيين أيضا ومع
 ذلك كتبوا ما أثار الطريق لعقبة هامة من تاريخ الكفاح الوطنى والمتمثلة فى تاريخ
 الحزب الوطنى بصفة خاصة ، والأدلة على ذلك واضحة نذكر منها .

١ - أن الرافعى عندما بدأ مشروعه المهم فى كتابه موسوعة تاريخ مصر^(٣) لم يكن يهدف
 فى المقام الأول سوى الترجمة للزعيم الوطنى مصطفى كامل وللحزب الوطنى

١ - حول حياته ومؤلفاته وأعماله انظر الزركلى : الاعلام جده بيروت ، الطبعة السادسة ص ٥٩ .

٢ - لفتحى رشوان العديد من الكتب نذكر منها

- المهاتما غاندى : حياته وجهاده ، القاهرة ١٩٣٢ .

- مصطفى كامل القاهرة ، دار المعارف ديسمبر ١٩٧٤

- عصر ورجال القاهرة الانجلو المصرية ١٩٦٧

- مشهورين منسيون القاهرة ، كتاب اليوم العدد ٢٧ ، اخبار اليوم اكتوبر ١٩٧٠

- كفاحنا الوطنى فى نصف قرن ، القاهرة . د . ت .

٣ - مؤلفات الرافعى فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر عديدة نذكر منها :

١ - تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم (جزآن) ويشرح بدايات ظهور الحركة القومية
 فى مصر ، والمقاومة الشعبية التى واجهت الحملة الفرنسية وتاريخ مصر القومى إلى ولاية
 محمد على .

ب - عصر محمد على ويشتمل على عرشى واث لعصره وأعماله

ج - عصر اسماعيل (جزآن) ويشتمل على عهد عباس وسعيد واسماعيل .

د - الثورة العربية والاحتلال الانجليزى وفيه يشرح الرافعى لأسباب الثورة وتفاصيل أحداثها
 وأسباب خنقها كما يلق من عرابى موقفا عدائيا .

هـ - مصطفى كامل يأتى الحركة الوطنية وفيه يدرس حياة الزعيم الشاب ويتابعه منذ مولده إلى
 وفاته .

و - مصر والسودان فى اوائل عهد الاحتلال ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٨٩٢ إلى
 ١٩٠٨ .

ز - محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩٠٨ إلى عام
 ١٩١٩ .

ح - ثورة سنة ١٩١٩ (جزآن) ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩١٩ إلى ١٩٢١ .

ط - فى اعقاب الثورة المصرية (ثلاثة أجزاء) ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩٢١ إلى
 ١٩٥١ .

ومن هنا رأى أن يبدأ بالحركة الوطنية في مصر منذ بدايتها حتى إذا انتهى إلى عصر مصطفى كامل كان من اليسير عليه أن يضعه في مكانه اللائق به بين زعماء الحركة الوطنية فبدأ كتابته بعرض لتطور الحركة القومية منذ بداية الحملة الفرنسية في عام ١٧٩٨م والمقاومة الشعبية الباسلة للاحتلال الفرنسي، وانتهى إلى الكتابة عن ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ومن نظرة الراقعي للتاريخ فإنه لم ينظر إليه كعلم بمقدار ما هو وسيلة فعالة لتثقيف العقول وتوجيه المواطنين إلى المثل العليا في حياتهم القومية وتعليمهم تاريخ بلادهم ^(١) ونتيجة لذلك فهو يستبعد حياد المؤرخ لأن ذلك - على حسب قوله يشبه أن نقول للشاعر لا تكن عاطفياً أو نقول للرسم لا تكن حساساً أو نقول للمطرب لا تهتز أثناء الغناء ^(٢) .

وطريقة الراقعي في الكتابة التاريخية هي تتبع الحوادث تتبعاً زمنياً واقتصاره في معالجته التاريخية على الجانب السياسي أكثر من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية مما يجعل القارئ المتخصص لا يحس على الإطلاق بوجود علاقات إنتاج ولا قوى إنتاج لدى المجتمع المصري . ويجعل كتاباته مبتورة في بعض الأحيان .

يضاف إلى ذلك أن الراقعي يحكم على الأحداث بطريقة الميزان ذي الكفتين فيضع الإيجابيات في إحدى كفتي الميزان والسلبيات في الكفة الأخرى ثم يضع نفسه

١ - مقدمة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

٢ - ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

٣ - مذكراتي ١٨٨٩ - ١٩٥٦ وفيها عرض لشريط حياته .

٤ - جمال الدين الأفغاني باحث نهضة الشرق وقد صدر بعد وفاة الراقعي بسبعة أيام .

وبالإضافة إلى هذه الكتب فقد صدرت له سلسلة تحت عنوان " مصر المجاهدة في العصر الحديث " قررتها وزارة التربية والتعليم على طلاب المرحلة الثانوية .

٥ - حمادة اسماعيل : صناعة تاريخ مصر الحديث - دراسة في فكر عبد الرحمن الراقعي ، القاهرة ، سلسلة مصر النهضة ص ٢٠٦ .

٦ - بهاء الدين طوان : عبد الرحمن الراقعي مؤرخ مصر الحديثة ، القاهرة أعلام العرب ١٩٨٧ ص ٦٦ .

في موقع القاشي^(١) وما يؤخذ على هذه الطريقة أن العدالة في الأحكام التاريخية لا تتحقق بالسهولة التي يراها الرافعي ومن هنا اتسعت أحكامه أحيانا بالبعد عن الموضوعية والانصاف كما اتسعت كتاباته بالاستطراد وعدم الترابط في بعض الأحيان على سبيل المثال نذكر أن إعجاب الرافعي بمصطفى كامل أدى إلى التحيز في مشاعره الشخصية تجاه هذا الزعيم فعلى الرغم من أن حركة مصطفى كامل اتسعت بطابع دفاع محام عن قضية وطنية وليست إعداد الأمة للنضال ، وعلى الرغم من أن مفهوم مصطفى كامل للوطنية كان مفهوما فكريا من الطراز الأول يتسم بالأسلوب العاطفي للزكية مشاعر طوائف المثقفين وحماسهم مستغلا في ذلك مواهبه الخطابية ورومانسيته الواضحة في الترنم بالوطن . وعلى الرغم من أن هناك العديد من المصريين كانوا قد سبقوا مصطفى كامل في الحركة الوطنية فإن الرافعي اعتبر مصطفى كامل منشئا للحركة الوطنية يضاف إلى ذلك أن كتابات الرافعي تأثرت بلون من ألوان الحزبية^(٢) ، فكل ما فعله الحزب الوطني من وجهة نظره صحيح وما سواه من الأحزاب فانه يعامل حسب مواقفه من الحزب الوطني وزعاماته وأرائه فمثلا لم يكن الرافعي منصفاً في تقويمه للثورة العربية خاصة وأن الحزب الوطني كان يرى فيها هوجة هوجاء تسببت في الاحتلال فوصف شخصية زعيمها بأنها كانت السبب في إنكسار الثورة وخفاقها وخضعت تفسيراته للثورة للمناخ السياسي والاجتماعي الذي أرخ فيه لها ، كما خضعت لظروف بيئته وعصره والفكرة التي يؤمن بها ، وربما أخضع تفسيراته لروية وطنية من وجهة نظره ومع ذلك فإن عاطفته تجاه الحزب الوطني الذي ينتمي اليه وإلى ذاتيته كانت بارزة فيما كتبه وبالنسبة لموقف الرافعي من الوفد فقد انكر عليه الرأي القائل بالمفاوضة لتسوية العلاقات المصرية البريطانية ومآثيه أحيانا وعنفه أحيانا أخرى وذلك لأن أحد مبادئ الحزب الوطني كانت لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ، وإلى جانب ذلك

١ - الرافعي : في أعقاب الثورة المصرية ج٢ ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ - ١٩٦٦ ص ٦ .

٢ - الجدير بالذكر أن معظم الكتابات التاريخية في ذلك الوقت تأثرت بانتماءات اصحابها ومواقفهم فالمفاد أحب الوفد في شخص سعد زغلول ، وبشكل عير في كتاباته عن رأي ومواقف الأحرار المستوريين .

كان الراجعي ينظر إلى حزب الأحرار الدستوريين على أن رجاله وصوليونيون ونفعيون ورجعيون مما يعني أنه كان متحازاً لوجهة نظر معينة في السياسة المصرية بوصفه أحد أقطاب الحزب الوطني وأحد تلاميذ مصطفى كامل .

ويؤخذ عليه أيضاً حذفه لبعض الكلمات التي وردت في المراسلات التي تمت بين مصطفى كامل ومحمد فريد بفرض اضافة طابع المثالية عليهما ، وقيامه بإجراء بعض التعديلات في مذكرات محمد فريد لكي يخدم الصورة البراقة التي رسمها في كتاباته عنه علما بأنه ليست من مهمة المؤرخ أن يحجب عن الأجيال المتعاقبة أخطاء الأجيال الماضية ، بل عليه أن يشير إليها .

وإذا كان البعض قد أخذ عليه أيضاً مجاملته لثوار يوليو ١٩٥٢ بتجاهله لمحمد نجيب في كتابه " ثورة يوليو ١٩٥٢ - تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢-١٩٥٩ " فالحقيقة لم تكن كذلك فقد ذكر الراجعي نجيب وتعرض لنوره في الثورة ، ولكن الرقابة على المطبوعات هي التي أمرت بحذف هذا اللون ومحو اسم صاحبه ^(١) .

ومع ذلك فمن الانصاف أن نذكر أن الراجعي كان حريصا على الوقائع التاريخية من الزيف والتحريف في معظم الأحيان ^(٢) كما يحمده أنه كان أول من اهتم بذكر أسماء الشهداء والضحايا من أبناء الشعب المصري خلال مقاومتهم للاحتلال ^(٣) ويحمده له أيضا

١ - ذكر لي السيد / حامد إبراهيم الذي كان يعمل بمطبعة السعادة بباب الخلق التي طبع فيها هذا الكتاب أن الراجعي لم يتجاهل نجيب في كتابه وإنما الرقابة على المطبوعات هي التي حذفت معظم ما كتبه عنه .

٢ - اتهمت صحيفة كوكب الشرق الراجعي أنه استعان بكتاب صاحبها أحمد حافظ عوش - والذي تولى إدارة جريدة المؤيد عقب وفاة مؤسسها الشيخ علي يوسف - المسمى " فتح مصر الحديث أو نابليون بونابارت في مصر " في تأليف كتابه المسمى " تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم " دون الإشارة من الراجعي إلى ذلك . ولكن يبدو أن تشابه مصادرهما عند الكتابة كانت متقاربة وإن كان الراجعي قد تعرض لهذه الفترة بالدراسة والتوضيح أكثر من حافظ عوش ومع ذلك فنحن نؤكد على ما ذكرناه من قبل بأن الراجعي قام بإجراء بعض التعديلات في مذكرات محمد فريد .

٣ - محمد شفيق غريال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ ، القاهرة النهضة المصرية ١٩٥٢ ص ١٥٢ .

ما ذكره من أن الشعب هو الصانع الحقيقي للتاريخ ، وأن التاريخ الصحيح هو تاريخ الشعوب لا تاريخ الملوك^(١) وإذا كان البعض قد أخذ عليه أنه لم ينصف الثورة العربية ، وأنه أسطى للبرجوازية المصرية الدور القيادي للثورة ضد الاحتلال فإنه لم يكن وحده المؤيد لهذا الرأي في ذلك الوقت^(٢) .

وإلى جانب ذلك فمن المنطقي أن نعترف بالنور البارز الذي أثار به الراقعي طريق المعرفة التاريخية لجيل من الشباب المصريين ، وبالمجهود الضخم الذي قدمه من أجل تاريخ أمته لدرجة أن مؤلفاته ظلت أكثر من نصف قرن تقريباً مرجعاً هاماً لكل من يرغب في التعرف على الوطنية المصرية أو يتعلم منها كما أن تأثيرها بلغ درجة كبيرة بشكل يمكن معه القول أن صاحبها يعد من كبار صنّاع الكتابة التاريخية المصرية في العصر الحديث . ويكفي الراقعي فخراً أنه لم تشتت التاريخ المصري الحديث وجمع أطرافه وكون منها مؤلفاته العديدة . وعلى أي حال فقد تابع زعماء مصر السياسيون وقادتها كتابة مذكراتهم فكتب محمد فريد ، وسعد زغلول ، وإسماعيل صدقي ، وعبد الرحمن فهمي ، ومحمد حسين هيكل ، وإبراهيم الهلباوي وغيرهم مذكراتهم ولكن هل هذه المذكرات يمكن أن ينطبق عليها الوصف العلمي للمذكرات أم أن معظمها تختلف درجة اهتمامه عن هذا الوصف من ناحية القرب أو البعد .

الواقع أن هذه المذكرات يعد بعضها أقرب إلى التقارير ، وبعضها أقرب إلى التاريخ منه إلى المذكرات خاصة وإن شرط المذكرات هو تصوير الحادث وقت وقوعه أو تسجيل الرأي عند تكوينه ، ولكن إذا ما تم استعادته بعد وقوعه أو تكوينه فإن صاحب المذكرات يتأثر بحالته وقت الكتابة كما يتأثر بالنتائج التي ترتبت على الحادث إن سلباً أو إيجاباً . ومن هنا ينبغي إعادة النظر فيما كتبه هؤلاء السياسيون ووضعهم في مكانه الصحيح من الكتاب التاريخي^(٣) .

١ - انظر في أعقاب الثورة ج ٢ ص ٥

٢ - من المعروف أنه بعد عودة عربى من منفاه إلى وطنه استقبلته معظم الصحف وبعض الناس شر استقبالا ، فوجهوا اليه تهمة الخيانة وحاولوا الخط من قيمته ومن ثورته . ولكن هناك من استقبله بموسمية مثل لطفى السيد فقال إن له حسنات وله سيئات وإن الخيانة أمر لم نعرفه في زماننا المصريين .

٣ - نريال : المرجع السابق ص ١٢ .

ومن المذكرات تنتقل إلى التراجم فقد ظهرت لأول مرة بصورتها العلمية الحديثة في كتاب الدكتور هيكل " تراجم مصرية وأجنبية " ثم ترجم " العقاد " لسعد زغلول في كتابه " سعد زغلول سيرة ونحبة " وترجم " الراجحي " لمصطفى كامل في كتابه " مصطفى كامل باحث الحركة الوطنية كما ترجم لمحمد فريد في كتابه " محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية " وكتب الدكتور " الشيال " عن رفاة الطهطاوي ، و " سمير طه " عن أحمد عرابي و " عبد المنعم الجميلى " عن عبد الله النديم وتوالت بعد ذلك العديد من التراجم لزعماء مصر السياسيين وغيرهم .

ومن المعروف أن فن الترجمة للشخصيات التاريخية لا يعد من الأمور السهلة بل تحتاج في العديد من الأحيان إلى شخص متمكن من الدراسات السيكلوجية والتحليل النفسى يرسم من خلالها صورة عامة للشخصية التى يترجم لها من جميع جوانبها كما تحتاج إلى من يراعى التطور الداخلى للشخصية من خلال الاحداث التى يعرضها والعوامل المختلفة التى أثرت فيها وفي اتجاهاتها .

ومع انه يتحتم على كُتّاب التراجم تحاشي الوقوع تحت تأثير الشخصية التى يكتبون عنها حتى لا تتناقض أحكامهم ويترفعون عن الحق فإن الكثيرين ممن كتبوا عن سير العظماء لم يتمكنوا من تفادى ذلك .

ب - المجموعة الأدبية :

العمل الأدبي ميزان دقيق يزن فنا رفيعا صبت فيه الانسانية خلاصة تجاربها وخبراتها، وعبّرت فيه عن مشاعرها وأحاسيسها، يضاف إلى ذلك أن للأدب والشعر أبلغ الأثر في إذكاء الروح الوطنية في نفوس الناس خاصة وأن الأدياء غالبا مرآة صادقة لعصرهم ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنهم، حيث يسجلون بطريقتهم الأدبية الحوادث المؤثرة والهامة التى ربما لا يجدها المؤرخ فى الوثائق أو المادة الأصلية المتاحة أمامه .

ونتيجة لذلك سنلتعرض لبعض الأدباء الذين تركوا بصماتهم على تاريخ مصر الحديث وخير من يمثلهم فى هذا المجال " حافظ ابراهيم " ، و " ابراهيم التويلحي " ، وعبد الحميد جودة السحار ، ونجيب محفوظ .

فكتب حافظ إبراهيم " ليالى سطوح " التى تعد بمثابة " بانوراما " متسعة الأبعاد لكل مناخات مصر السياسية والاجتماعية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين فالأرضية الزمنية لهذا الكتاب تمتد ما بين عامى ١٨٨٢-١٩٠٦ أى فترة بداية الاحتلال وحتى مأساة دنشواى ومن هنا فإنها تعرض لأحداث وشخصيات الفترة ذاتها مثل الثورة المهدية فى السودان وتدفق النفوذ الأجنبى ، والاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا ، ومأساة دنشواى والكتاب فى مجمله يركز على الإدارة المباشرة للاحتلال .

وكتب " إبراهيم المولىحى " حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن بطريقة تتسم بالتواضع التاريخى ، وقام ينتقد الواقع الاجتماعى للأمة المصرية بشكل يخاطب العقل ويتعامل مع اللغة العربية بأسلوب يتميز بالسهولة والتحرر من المحسنات اللفظية ، فقارن بين عادات الشرقيين والغربيين ابتداء من الأسرة حتى العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وتعرض لأفان الطبيعة البشرية مثل الحسد والنفاق والتعلق وتحدث عن المجتمع المصرى فى تناقضاته من خلال تحليله الاجتماعى لجوانب السلوك الاجتماعى للشخصية المصرية، وسجل معالم جيله وسماته وأحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومقارنتها بحالة الجيل الذى سبقه فى صراحه وواقعيه مما أبرز مشكلة من أهم مشاكل المصريين الاجتماعية فى ذلك الوقت وهى أن استيرادنا للمدينة الأوربية لا يعنى إقتلاعنا من جذور حضارتنا الشرقية^(١) .

وكتب عبد الحميد جودة السحار " قلعة الأبطال " الذى تدور أحداثها فى الفترة ما بين عصر اسماعيل إلى قيام الثورة العربية وبداية الاحتلال ، والذى صور فيها أن الجنسية المصرية داخل الجيش كانت دليل زراية واحتقار ووصمة عار حتى جاء عرابى الذى ثار فى وجه الظلم فأحس الجنود لأول مرة زهوا بأنفسهم ، كما صور الشعب المصرى بالبقرة الحلوب التى كانت تدر لبنها لاشباع رغبة الحكام ، وأبرز الصحوة التى تجلت فى تعاليم الأفغانى ، ووجدت أرضا رخوة فى نفوس المثقفين المصريين .

١ - انظر د. احمد الهوارى : نقد المجتمع فى حديث عيسى بن هشام القاهرة . دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ١٩٩٢ .

نضيف إلى ذلك ما كتبه نجيب محفوظ في ثلاثيته ، وتعرض فيه لواقع المجتمع المصرى الملىء بالمتناقضات ووصفه لمجتمع القاهرة في فترة ما بين الحربين ، وتسجيله لواقع البيئة المصرية بشقيها الاجتماعي والسياسي وما عبر عنه طه حسين وأحمد أمين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم بشأن ضرورة الأخذ بأسلوب الحضارة الأوروبية واعتناق مفهوم الدولة القومية ، وصيغ قضية الاستقلال القومي بالليبرالية الغربية .

والسؤال المطروح هو هل التاريخ الأدبي يمكن أن يصلح كمادة يعتمد عليها في كتابه بالتاريخ ، وما هي الخيوط التي يلتصقها المؤرخ في وصف أديب للمجتمع الذي يكتب عنه الواقع أن الأديب أو الروائي ليس مطالبا بعمق المدرس أو بدقة التحليل العلمي بقدر ما هو مطالب بأن يكون أصيلا في تعبيره عن العاطفة الاجتماعية ، واسعاً في مشاعره وخياله ومن هنا فعلى المؤرخ أن يتقبل ما يكتبه الأديب بحرص وحذر شديدتين خاصة وأن العمل الروائي يعتمد على الخيال بجانب الواقع ، وبمعنى آخر يمكن للمؤرخ أن يستقى معلوماته التي ربما لا يجدها في الوثائق أو المصادر الأصلية بشكل يحمل موضوعية العلم وفيه ذاتية الأديب .

ج - المجموعة الصحفية .

ومن مزايا هذه المجموعة أنها استطاعت أن تسهم في تكوين الرأي العام المصرى فتحدث أبناء مصر حراحة عن شئون بلادهم على صفحات الجرائد ، وعبروا عما يدور في نفوسهم من آمال وأهداف في وقت تجاذبت فيه البلاد تيارات سياسية مختلفة فكان هناك التيار الوطني الثائر الذي ظهر جليا إبان الثورة العربية وفي أعقابها وتمثل في العديد من الصحف تذكر منها الطائف والمفيد والمزيد وصحف الحزب الوطني .

وهناك التيار العثماني الذي يستمد قوته من الأصول التي تربط مصر بالدولة العثمانية ويتخذ من تيار الجامعة الإسلامية مظهرا له وتمثل ذلك في جريدة اللواء وهناك التيار الموالي لفرنسا والذي تمثل في جريدة اليوسفوراجيسيان والتيار الموالي لبريطانيا والمتمثل في جريدة المقطم . ومن الملاحظ أن الزعامة والصحافة في مصر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن الحالى كانت شيئا واحداً يضاف الى ذلك أن معظم

الاحزاب المصرية نشأت في أحضان الصحف المعبرة عنها فمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني كان مؤسساً لقواء، وعلى يوسف رئيس حزب الإصلاح على الابداء، الدستوريه كان مؤسساً للمؤيد وأحمد لطفي السيد أحد أقطاب حزب الأمة كان مؤسساً لصحيفة الجريدة .

يضاف إلى ذلك أنه في خلال النصف الثاني من القرن العشرين برزت مجموعة من الكتابات التاريخية بأقلام مجموعة من الصحفيين كان الغرض من بعضها خدمة موضوعات بعينها وكان لأصحابها فكرة مسبقة ، أما بعضها الآخر فيخلو من الأهداف السياسية ومن الأغراض الأخرى إلى حد ما ليس بكثير .

وحول أصحاب الاتجاه الأول نذكر أن " مصطفى أمين " نشر مجموعة من المقالات في جريدة الاخبار حول أسرار ثورة ١٩١٩ في عام ١٩٦٣ بهدف إثبات أن هذه الثورة كانت ثورة شعبية أصيلة خرجت من القرى والكفور قبل أن تخرج من المدن والبنابر ، وأن " سعد زقزل " كان زعيماً يلق في تسميحاته ونضاله كل ما سبق من زعماء مصر ، ونتيجة لأن بعض الأجهزة المعنية برصد مؤشرات الرأي العام المصري قد أبلغت الرئيس " جمال عبد الناصر " بأن هذه الكتابات تهدف إلى تحريض الشعب بالانقضاض على الثورة صدرت الأوامر بوقف نشر هذه المقالات ، وعدم إصدارها في كتاب ، ونقلت الأمور على حالها ، وبخل مصطفى أمين السجن بعد ذلك ، إلى أن صدرت هذه المقالات في كتاب في عصر الرئيس السادات وبعد خروج مصطفى أمين من السجن وكان عنوانه " الكتاب الممنوع - أسرار ثورة ١٩١٩ " (١) في جزئين وحول هذا الاتجاه نذكر أيضا كتابات " موسى صبري " التي كانت كثيرا ما تتألى السلطة وتحاول التقرب لها أما عن أصحاب الاتجاه الثاني فنذكر منهم محمد حسنين هيكل ومحسن محمد ، ويحمد لهما الاعتماد على الوثائق البريطانية والأمريكية وغيرها ، والاقتراب من المنهج العلمي في كتاباتها إلى حد كبير وفيما يلي نعرض لبعض كتابات محسن محمد .

تكن أهمية كتابات محسن محمد في أنه استقى معظم مادتها التاريخية من الوثائق الأصلية خاصة البريطانية والأمريكية .

ففى كتابه " تاريخ البيع ^(١) " قدم العديد من الأسرار الهامة التى أحاطت بمصر خلال الحرب العالمية الثانية منها موقف القصر والحكومة من الألمان ، والقصة الكاملة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ من خلال الوثائق البريطانية خاصة وثائق وزارة الخارجية فى لندن ، والتقارير التى كتبها السفير البريطانى فى مصر الى حكومته .

وفى كتابه " اصول الحكم ^(٢) " تعرض محسن محمد لتاريخ مصر من خلال الأحداث التى أثارت رأى العام المصرى لفترة طويلة بعد أن أصدر الشيخ على عبد الرازق كتابه " الاسلام وأصول الحكم " فى أبريل من عام ١٩٢٥ والأحداث المتتالية التى أعقبت ذلك من خلال الوثائق البريطانية المحفوظة فى دار الوثائق العامة فى لندن والوثائق الأمريكية المحفوظة فى الأرشيف الوطنى فى واشنطن .

وفى كتابه " الشيطان - تاريخ مصر بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ^(٣) " تعرض محسن محمد للمندوب السامى اللورد لود بالدراسة فلووضح انه خلال خمسة وأربعين شهرا حكم فيها مصر حاول اتباع سياسة التزم والقهر مع المصريين ، وإن يجعل من نفسه الحاكم الحقيقى لمصر ولا يكون للحكومة المصرية سوى سلطة اسمية فقط ، كما حاول تحقيق مصالح الامبراطورية البريطانية فى مصر أولا وقبل أى شئ آخر .

وفى كتابه " سعد زغلول مولد ثورة - شرارات ثورة ١٩١٩ بالوثائق الأمريكية والانجليزية ^(٤) " تعرض محسن محمد للورد سعد زغلول فى السياسة المصرية قبيل ثورة ١٩١٩ وذلك من خلال تولىه وزارتى المعارف والعدل وعلاقته بكل من اللورد كرومر ، واللورد كتنشتر والمستشارين الانجليز وعلاقته أيضا بالسير انوارد جراى وزير خارجية بريطانيا .

وإلى جانب ذلك فلمحسن محمد مؤلفات أخرى تعرضت لفترات هامة من تاريخ مصر المعاصر من خلال الوثائق السرية البريطانية والأمريكية نذكر منها " سرقة واحة

١ - نشرته أخبار اليوم فى العدد ٥٥ من كتاب اليوم يوليو ١٩٧٢ .

٢ - نشرته دار المعارف فى عام ١٩٨٠ .

٣ - نشرته دار المعارف فى عام ١٩٨٢ .

٤ - نشرته مكتبة غريب بالقاهرة فى عام ١٩٨٨ .

مصرية^(١) و " التاريخ السرى لمصر^(٢) و " اتفدينا يبيع مصر^(٣) . و " خمسة ايام هزت مصر^(٤) و " من قتل حسن البنا^(٥) و " عندما يموت الملك^(٦) .

ومع أن هذه الكتابات اعتمدت على الوثائق الأصلية في معظمها فإنها تقتقد إلى روح المؤرخ وبصمائه في النقد والتحليل ، ومع أنها كانت عاملا من عوامل النهضة الثقافية الحديثة ، وبث الوعي لدى المواطنين بتاريخهم فإن أسلوبها الصحفي تغلب عليها .

٤ - مجموعة الكتاب الشوام التي ولدت الى مصر

وهي التي تكونت من بعض الكتاب الشوام الذين جاء بعضهم إلى مصر فرارا من بطش الحكم العثماني ، وجاء البعض الآخر إليها إما للدراسة أو التجارة ، واستقروا فيها وسامعوا في كتابة تاريخها بطريقة فعالة ومن هؤلاء جرجي زيدان ، وعبد الرحمن الكواكبي واسماعيل الأيوبي وغيرهم فكتب " جرجي زيدان " بعض المؤلفات في تاريخ مصر الحديث وأخبره تذكر منها " تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم^(٧) و " تاريخ التمدن الاسلامي " و " تاريخ الماسونية العام " و " تراجم مشاهير الشرق " في القرن التاسع عشر^(٨) و " التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن " كما أن له العديد من الروايات التاريخية منها استبداد المماليك ، و " الملوك الشارذ " يضاف إلى ذلك أنه أصدر مجلة الهلال في اواخر عام ١٨٩٢ وتولى تحريرها بنفسه ، وكتب فيها العديد من

١ - نشرته اشيار اليوم ضمن سلسلة كتاب اليوم ١٩٨٠ .

٢ - نشرته دار المعارف .

٣ - نشرته مؤسسة الاهرام

٤ - نشرته مؤسسة الاهرام

٥ - نشرته دار الشروق في مارس ١٩٨٧ وفيه اعتمد محسن محمد على أوراق قضية الانشغال الحفوية في متحف دار القضاء العالي وعلى غيرها من الوثائق .

٦ - نشرته دار النعناع .

٧ - طبع بمطبعة المقتطف في عام ١٨٨٩ .

٨ - نشرته مطبعة الهلال في عام ١٩٠٢ كما نشرت باقي مؤلفاته الأخرى ، والجدير بالذكر أن لجرجي زيدان كتابا بعنوان مصر العثمانية ألفه في عام ١٩١١ وأمير الور إلا هذا العام ، وكان قد قدمه للجامعة المصرية وتقاضي مكافأة عنه ، في نظير قيامه بتدريسه للطلاب ضمن مادة التاريخ الاسلامي ثم عدلت الجامعة عن ذلك خشية إن يدرس غير المعلم التاريخ الاسلامي .

المقالات التاريخية التي تتبع فيها النهضة الأوربية الحديثة وتطورها وحاول التوفيق بين النظامين الأوربي والعربي ، والمواصلة بين التاريخ العربي ومستقبل المدينة الحديثة . ومع أن كتابات زيدان كانت ذات أثر في تنشيط الروح القومية والحياة الثقافية في مصر خاصة في الفترة ما بين الاحتلال البريطاني حتى نشوب الحرب العالمية الأولى فإن بعض ما كتبه في تاريخ مصر يعوزه الدقة ويحتاج إلى التصويب^(١) .

وكتب عبد الرحمن الكواكبي عدة كتب من أبرزها " أم القرى " و " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " فبسط في الأول رأيه في إصلاح ما أعوج من أمور الاسلام وجمع كلمة المسلمين . وجمعية أم القرى اسم أطلقه الكواكبي على مؤتمر عام تشيل انعقده في مكة المكرمة ، وجمع فيه مفكرين ينوون من أمم العالم الاسلامي في مشرقه ومغربه ، وألقى على لسان كل منهم خطابا يشرح فيه أحوال المسلمين كما رآها في بلده وسمع عنها بالنسبة لبعض البلدان الاسلامية وفي هذا المؤتمر أنكر الكواكبي الخلافة على آل عثمان ودعا إلى الخلافة العربية والكتاب في مجمله يتطرق إلى العلل التي أصابت الأمة الاسلامية والطريق الناجح لعلاجها^(٢) .

أما عن الكتاب الثاني^(٣) فقد أوضح فيه الكواكبي ما هية الاستبداد بقوله انه « صفة الحكومة مطلقة العنان التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب

١ - من أبرز الآراء على ذلك خلطه بين الكمية المشرفة والجمرة النبوية ، فذكر أن الزهاديين حين فتحوا الحجاز نهبوا الكمية والحقيقة انهم استولوا على ما كان في الجمرة النبوية من النفائس والأموال « فالكمية لم يكن بها أموال حتى يستولوا عليها ومن المعروف أن محمد علي قد استرد بعض هذه الأموال انظر ص ٢٢٩ من كتاب تاريخ مصر الحديث .

ولتفاصيل ذلك انظر مقالنا المنشور تحت عنوان " دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في كتابات المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي " .

مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية العدد الأول . رجب ١٤٠٩هـ / فبراير ١٩٨٩م .

٢ - نشر الكتاب في طبعات متلاحقة بعضها كان ميتورا ، وبعضها أعيد فيه ما حذف منه .

٣ - لم يصرح الكواكبي باسمه على خلاف الكتاب بل استبدله بالرحالة " ك " وقد نشرت جريدة المؤيد بعض موضوعاته عندما زار الكواكبي مصر في عام ١٢١٨هـ في وقت كانت فيه العلاقات بين قصرى بلاد وعامدين فائره ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات أبرزها طبعة المكتبة التجارية الكبرى في عام ١٣٢٥هـ / ١٩٣١م .

ولا عقاب محققين " وأعلن أنه أراد بكتابه " تنبيه الغافلين لمورد الداء عسى أن يعرف الشرقيون أنهم المتسببون لما هم فيه ^(١) وهدد فيه الأمم التي لا تحسن سياسة نفسها بسيطرة أمة أخرى عليها بقوله " إذا لم تحسن أمة سياسة نفسها أدلها الله أمة أخرى تحكمها كما تفعل الشرائع بإقامة القيم على القاصر أو السفه ^(٢) يضاف إلى ذلك أن الكواكبي حصر مشكلة الأخلاق في موضوع واحد خلاصته أنها " حرب إرادات بين الحاكم المطلق والراعي المحكومين " وتمكن من حسم المشكلة بتقسيم الأخلاق إلى قسمين مختلفين قسم لمصلحة الحاكم المستبد والآخر لمصلحة الرعايا المحكومين فأوضح أن من مصلحة المستبد شيوع النفاق والتلق والريبة بين مواطنيه وتشجيع الأشرار على تنفيذ أغراضهم دون أي تبعه أو مساءلة ، ومن آثار ذلك الضعاف ثقة الناس بانفسهم وفقدهم ثقة بعضهم ببعض ^(٣) .

والعلاج الناجح لذلك هو تعود الناس على الاشتراك في الرأي والتعاون على العمل فيرى الكواكبي أن حكم الاستبداد قد استفحل بين المسلمين بعد أعمالهم حياة الجماعة والشاورة بين الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولما كانت الموضوعات التي كتبها الكواكبي من الموضوعات المحرمة في ذلك الوقت خاصة وأنها تمس أنظمة الحكم من قريب وتوضح للشعوب حقوقها ، وتهيئها للمطالبة بها فقد استاء السلطان العثماني من هذه الكتابات وحظر نشرها داخل سلطنته . وعندما فارق الكواكبي الحياة في عام (١٣٢٠هـ ، ١٩٠٢م اغتبط السلطان ببعوته وأراد القضاء على أفكاره بمصادرة مخطوطاته وكتابات على حين أسف عليه كل من كان محبا لاصلاح أحوال العالم الاسلامي ، ورأى فيه نموذجا عزيز المنال لأولئك النوابغ الذين يشحون بكل ما يملكون من أجل أن يتحقق النجاح لحاولاتهم الاصلاحية .

٥ - مجموعة الكتاب العسكريين

وقد قدم معظم أصحابها معلومات هامة تعرضوا فيها لأحداث لم يتوفر لغيرهم معرفتها . كتبوها بصفتهم شهود عيان لها أو مشاركين في صنعها ، فقدّموا بذلك

١ - من تصدر الكواكبي للكتاب .

٢ - طبائع الاستبداد ص ١٣٦ .

٣ - للتفاصيل انظر عباس العقاد: عيد الرحمن الكواكبي، القاهرة دار نهضة مصر ص ٨١ - ١٨٤ .

خدمات جليلة لتاريخنا المعاصر ومن أبرز هؤلاء " أحمد حمروش " ، و " جمال حماد " و " محمد فوزي " ، و " محمد عبد الفتى الجيسى " ، و محمد عبد الحليم أبو غزالة ، و محمد فيصل عبد المنعم ، وأعضاء هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع وفيما يلي نعرض لبعض كتاباتهم .

كتب أحمد حمروش قصة ثورة ٢٢ يوليو في أربعة أجزاء كما كتب " من سيناء إلى الجولان " .

وفي الدراسة الأولى ناقش فيها قصة الثورة مبيناً أن الحديث عن مصر والعسكريين لا ينتهي بوصولهم إلى قمة السلطة ولكنه يبدأ ، وأن سنوات الضدام التي انتهت بالقضاء على الأحزاب القديمة واعتقال الشيوعيين وحل الإخوان المسلمين وعزل محمد نجيب لا تظهر الدور الذي قام به العسكريون في بناء المجتمع المصري ولكنها تؤجله وأن عبد الناصر لم يلعب دوره كاملاً إلا بعد تغلب مجلس قيادة الثورة على خصومه وانفراد عبد الناصر بالسلطة وكسب ثقة الجماهير ، ثم بدأت سنوات الصعود وتجلت المواقف الوطنية وأحس عبد الناصر أن قصة الثورة لا تكتمل داخل حدود مصر وأن تأثيرها التاريخي لا يقتصر على الشعب المصري ومن أجل ذلك قام بتأييد حركات التحرر العربي ، وسعى من أجل تحقيق الوحدة العربية .

وأبرز ما في هذه الدراسة أن صاحبها استقى مادتها من أعضاء مجلس قيادة الثورة وبعض الضباط الأحرار والمسؤولين وأنه كتبها من منطق تقدمي في فهم حركة التاريخ .

ورأى جانب ذلك كتب حمروش دراسة مطولة بعنوان " من سيناء إلى الجولان " تحدث فيها عن تطورات الصراع العربي الاسرائيلي وأبرز ما يميزها الجهد المبذول فيها خاصة من الناحية التحليلية

أما عن دور هيئة البحوث التاريخية فيتضح فيما تصدره من دراسات توضع فيها الدروس المستفادة من الحملات العسكرية أو الحروب التي خاضها الجيش المصري وأبرز الأمثلة على ذلك إصدارها لدراسة هامة بعنوان " حرب العدوان الثلاثي على مصر -

خريف ١٩٥٦ * والتي حصلت على مادتها من الوثائق المصرية خاصة العسكرية منها مثل وثائق مسرح العمليات ، والوثائق الخاصة بالخطط الدفاعية وهذا ما لا يثيسر الاطلاع عليه سوى للعسكريين هذا الى جانب رجوعها للمصادر الاسرائيلية وغيرها مما يشكل رؤية رسمية لحرب العدوان الثلاثي على مصر .

وتبرز أهمية هذه الدراسة في التفاصيل الدقيقة الخاصة بالمعارك والمستندة على وثائق وخرائط وجداول وتقارير ارشيفية وشهادات وتصريحات للمسؤولين والسياسيين والعسكريين خلال فترة الحرب مما يجعلها مصدرا رئيسيا لكل من يتعرض لهذه الحرب بالدراسة بصفة خاصة وللتاريخ مصر في النصف الثاني من القرن العشرين بصفة عامة.

ويعد أن عرضنا لمدرسة الهواة من المؤرخين نستطيع أن نذكر انه على الرغم من كل الجهود الطيبة التي بذلها هؤلاء في كتابه تاريخ مصر ، وبالرغم من أنه يحلو للكثيرين من المثقفين الكتابة في التاريخ والفوس في اعتاقه فان ذلك لا يعنى أن كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخا بل لا بد أن يتوافر ليعن يكتب التاريخ من الصفات والاستعدادات والشروط التي تؤهله للقيام بهذا العمل خاصة وان الدراسات التاريخية الحقبة ليس من السهل كتابتها وقد كان " تولستوى " على حق حين ذكر في رائعته " الحرب والسلام " أن التاريخ هو دراسة حياة الشعوب والبشر ، وأن الامساك بهذه الحياة، ووضعها في كلمات أمر صعب بل قد يكون مستحيلاً .

وعلى أى حال فقد سارت الكتابات التاريخية على النحو الذى تعرضنا له حتى برزت المدرسة التاريخية الاكاديمية التي قامت بتمصير التاريخ المصري ، ودراسه بطريقة علمية وأخسحة المعالم .